الخليج

الرأي, مقالات

2 مايو 2016 03:48 صباحا

عن حلب المأهولة عبر التاريخ

الكاتب

محمود الريماوي

حلب المدينة السورية الثانية وأكبر مدن بلاد الشام في الكثافة السكانية (4,6 مليون نسمة) وتعتبر من أقدم مدن العالم المأهولة حيث كانت مأهولة بالسكان في بداية الألفية السادسة قبل الميلاد. ولعراقة المدينة فقد تم إدراج حلب القديمة عام 1986 على قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونيسكو.

المدينة القديمة تتحول إلى أنقاض بفعل الصواريخ وقذائف الطائرات، والمدنيون نزحوا وينزحون بأعداد كبيرة، وقد ازدادت وتيرة النزوح منذ أواخر العام الماضي 2015، فيما الغارات الجوية التي تعرضت لها المدينة الأسبوع الماضي قتلت 200 مدني حتى صباح الجمعة 29 إبريل/نيسان، ودمرت المشافي.

الاستهداف المنهجي للمدنيين وللمرافق الطبية ولطواقم الإسعاف يجعل الحروب والصراعات بمثابة مواجهة عمياء بين البشر، لا ضابط ولا قيد عليها مما توافقت عليه البشرية تحت مظلة عصبة الأمم أومنظمة الأمم المتحدة من اتفاقيات ومواثيق، تنأى بالمدنيين عن الصراعات وتلزم قوى الأمر الواقع والسلطات النافذة بحماية هؤلاء. لقد واجهت حلب وسوريا عموماً سيطرة عثمانية وانتداباً فرنسياً وتم خوض ثلاث حروب مع الكيان الصهيوني، وعلى مدى هذه القرون لم تتعرض المدينة وأهلها لما تتعرض له هذه الأيام من تجريف وحملة استئصال وإبادة. الأفلام المسربة لا تحتاج إلى شرح وتعليق. الأطفال والعائلات هم الهدف المفضل للغارات الجوية ولإطلاق الصواريخ. ومن دواعي الغرابة أن يتم إبرام أكثر من هدنة ولفترات تتراوح بين 24 ساعة و72 ساعة في دمشق وفي اللاذقية، مع استثناء حلب وذلك بفضل إصرار روسي وأمريكي للأخذ بهذا الاستثناء. الولايات المتحدة تتصرف وكأنها تفاجأت بتطور الأحداث في حلب، ولا تجد ما تفعله أو تقوله سوى مواصلة التواصل والتعاون مع موسكو لتجديد اتفاق وقف الأعمال العدائية. أما موسكو التي تشارك طائراتها في قصف حلب، فتتطلع كما تقول إلى مواصلة جلسات جنيف 3.

التخاذل الدولي تجاه المحنة المروعة لملايين الحلبيين وعموم السوريين، يكشف عن تدهور مريع في أخلاقيات السياسة والحروب التي تسود عالمنا، علماً أن الاندفاع لتدمير حلب على رؤوس أبنائها قد فاق في حجمه توقعات كثيرين في

عواصم القرارات وأصابهم بالشلل، وهذا هو حال التطورات في سوريا منذ أعوام، فحجم العنف يفوق في كل مرة التوقعات.. ومن الطبيعي أن استخدام الخيارات الصفرية لتدمير الشهباء سيوفر بيئة خصبة لمزيد من التطرف. إن هذا التطرف الدموي الذي تقوده دول وليس مجرد جماعات أو أفراد، لا بد أن ينتج تطرفاً مشابهاً ومعاكساً في الاتجاه.
إنه لمن دواعي الاستغراب أن الخيارات الصفرية القصوى تجد من يدعمها ويشارك بها ويخوضها بنفسه، بينما خيار التفاوض في جنيف يفتقد قوة الدفع الكافية من الأطراف الدولية، فقد انعقدت الجولة الأخيرة في أجواء من اختراق الهدنة ولم يدفع أحد الأطراف المتنازعة إلى احترام الهدنة والتقيد بها.. ومن اللافت أنه وبعد أيام من القصف الرهيب الذي لم يتقطع على حلب وأهلها وبعد انتشار صور المجازر على أوسع نطاق في العالم، أن يخرج نائب وزير الخارجية الروسي بقوله الجمعة 29 إبريل إن موسكو لا تنوي الضغط على الأسد لوقف القصف على حلب.! وكان على المسؤول الروسي أن يكون أكثر وضوحاً بالقول إن الطائرات الروسية لن تتوقف عن المشاركة في قصف حلب، وبالذات قصف الأحياء السكنية. ويبدو أن البعض لم يتعلم بعد من دروس الانحياز إلى غلاة الصرب في سنوات التطهير العرقي في البلقان ويرغب بتكرارها بطريقة ما في سوريا، ولكن مع خوض الصراع بصورة مباشرة وليس عبر وكلاء. أجل، إن المذابح في حلب تشهد على التقهقر الإنساني والانحطاط الأخلاقي الذي يطبق على عالمنا، إذ إن المشاركة في اقتراف المذابح أو التخاذل إزاءها، لا يتعلق بحسابات سياسية فقط، فهناك النزعة العنصرية الكامنة أو الظاهرة لا فرق والتي ترفع بشراً وتُخفض مستوى بشر آخرين، وفي عُرف المتكالبين على سوريا فإن أبناء حلب ودير الزور وريف دمشق ودرعا وحماة وحمص وإدلب، هؤلاء ممن لا يستحقون أن يؤرق أحد نفسه حول مصيرهم!. وكأننا عدنا إلى القرن الثامن عشر حين كانت دول مثل أمريكا وأستراليا ونيوزيلندا تتخلص من السكان الأصليين بأبشع أساليب الاستئصال والإبادة.

محمود الريماوي
mdrimawi@yahoo.com

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©